ليس بالحاء المهملة من عندربهم كذبوا به ﴿سوف يأتيهم﴾ انباء ما كانوا به يستهزؤن ﴿يعني﴾ سوف يأتيهم اخبار استهزائهم واعمالهم
وفي الآخرة تراه ﴿ألم يروا﴾ الخطاب لكفار مكة ﴿يعني﴾ ألم يروا أهلكنا من قبلهم من قرن ﴿يعني﴾ من أمة نوح وعاد وثمود وغيرهم من الأمم الماضية والقرون الخالية ﴿قرن﴾ الأمة من الناس وأهل كل زمان قرن سموا بذلك
لاقترانهم في الوجود في ذلك الزمان ﴿وقيل﴾ سمي قرنا لأنه زمان بزمان ولمة بأمة واختلفوا في مقدار القرن فقيل
ثمانون سنة ﴿وقيل﴾ مائة وعشرون سنة ﴿وقيل﴾ ثلاثون سنة ﴿وقيل﴾ للأول ستون سنة ﴿وقيل﴾ مائة وعشرون سنة
﴿وقيل﴾ مائة ستة وهو الأصح لما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعبد الله بن بشر المازني أنك تعيش قرنا فعاش
مائة سنة ﴿مكناهم﴾ أعطيناهم القوة والسعة ﴿في الأرض﴾ وجعلنا فيه ﴿ما لم نمكن﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو بالياء
﴿لكم﴾ يعني يا أهل مكة ﴿ومتعناهم﴾ بالخصب والسعة ﴿ومتعناهم﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو بالياء ﴿لكم﴾ بالتاء
﴿يعني﴾ يا أهل مكة ﴿وقيل﴾ يا محمد ﴿ما لم نمكن﴾ بالياء ﴿لكم﴾ بالتاء ﴿يعني﴾ ما لم نعطكم يا أهل مكة ﴿وقيل﴾ يا محمد ﴿ما لم نمكن﴾ بالياء ﴿لكم﴾ بالتاء ﴿يعني﴾ ما لم نعطهم في القوة والسعة في الأجسام والمعيش لا رزاق مثل أعطاكم يا أهل مكة ﴿وجعلنا﴾ وخلقنا ﴿السماء﴾ المطر ﴿عليهم مدرارا﴾ متتابعا في وقت الحاجة إليه
﴿وأرسلنا السماء﴾ المطر ﴿عليهم مدرارا﴾ متتابعا في وقت الحاجة إليه ﴿وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم﴾ يعني وفجرنا لهم العيون تجري من تحتهم ﴿فأهلكناهم﴾ يعني بالاستئصال ﴿بذنوبهم﴾ يعني بسبب ذنوبهم وكفرهم ﴿وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين﴾ يعني وخلقنا من بعد
﴿هلاكهم﴾ ولكن القرن الهالك قرن الآخرين ونوح هذه الآية ما يوجب الاعتبار والموعظة بما أخبر من مزال الأمم السابقة
والقرون الخالية فأنهم مع ما كانوا فيه من القوة وسعة الرزق وكثرة الاتباع أهلكناهم لما كفروا وعطفوا على ظلمهم
فكيف حال من هو أضعف منهم وأقل عددا وأهل وجب الاعتبار والانتباه من نوم الغفلة ورقدة الجهالة
﴿قوله عز وجل﴾ ﴿ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس﴾ الآية قال المفسرون وجد النضر بن الحرث وعبد الله بن أبي أمية ونوفل بن خويلد قالوا يا محمد
لن نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من عند الله ومعه أربعة من الملائكة يشهدون عليه أنه من عند الله وأنك رسوله
فأنزل الله تعالى هذه الآية ﴿ولو نزلنا عليك كتابا﴾ في جبل قرطاس من عندنا ﴿يعني مكتوبا﴾ في قرطاس ﴿وهو الكاغد
والصحيفة التي كتب فيها ﴿فلمسوه بأيديهم﴾ يعني فعاينوه ومسوه بأيديهم وإنما ذكر اللمس ولم يذكر المعاينة لأنه أبلغ
من باب العلم بالتي هي رؤية لأن الرؤيا قد تقع على الخيالات كالسحر وغير مجال فأما اللمس فلا ﴿لقال الذين كفروا
إن هذا إلا سحر مبين﴾ يعني لو نزلت عليهم كتابا كما سألوا لما آمنوا به ولقالوا هذا سحر مبين كما قالوا في انشقاق
القمر وإنه لا ينفع معهم شيء لما سبق فيهم من علم الله ﴿وقالوا﴾ يعني مشركي مكة ﴿لولا﴾ يعني هلا ﴿أنزل عليه﴾ يعني على محمد
﴿ملك﴾ يعني نراه عيانا ﴿ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر﴾ يعني لو نزل ملك لعاينوه وعجلت عقوبتهم ﴿ثم لا ينظرون﴾ يعني ثم لا يمهلون ولا يؤخرون
طرفة عين بل يعجل لهم العذاب ﴿ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا﴾ يعني ولو أرسلنا إليهم ملكا لبعثناه في صورة رجل لذلك
أن البشر لا يستطيع أن ينظر إلى الملك في صورته التي خلق عليها ولو نظر إلى الملك لما نظر لضعف عنده ويرتبه ولذلك
كانت الملائكة تأتي الأنبياء في صورة الأنس كما جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم في صورة دحية الكلبي وكما جاء
الملكان إلى داود عليه السلام في صورة رجلين وكذلك أتى الملائكة إلى إبراهيم ولوط عليهما السلام وأما إتيانه النبي
صلى الله عليه وسلم جبريل في صورته التي خلق عليها صعق الملك وغشي عليه وقد قال الله تعالى ﴿وللبسنا عليهم ما يلبسون﴾
يقال لبست الأمر على الناس إذا شبهته عليهم وجعلته مشكلا ولبست عليه الأمر إذا خلطته عليه حتى لا يعرف
جهته ومعنى الآية ولخلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم حتى يقولوا ما هذا إلا ملك هو أدمي وقيل في معنى الآية
إنا إذا جعلنا الملك في صورة البشر لنخوفهم بشر فتعود المسألة بحالها إلا أن في هذه البشر ورسالة البشر
وجزء لك سحار فعل الله مثل فعلهم في التلبيس وإنما كان تلبيسا لأنهم يظنون أنه ملك وليس بملك ولو يظنون أنه بشر

وليس هو بشرا وإنما كان فعلهم تلبيسا لأنهم ليسوا على يقين فعند ذلك فعلنا بهم ما فعلنا من التلبيس ﴿على﴾ النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا ما هذا إلا بشر مثلكم ولو رأوا
الملك رجلا لعلموا أنه ملبس ﴿من﴾ الملبس ﴿يعني﴾ نفعة من الله وعقوبة لهم على ما كان منهم من التخليط في الرسول
والتسوية إلى ضعفائهم ﴿قوله عز وجل﴾ ﴿ولقد استهزئ برسل من قبلك﴾ يعني كما استهزأ بك يا محمد قومك هذه الآية تسلية للنبي صلى
الله عليه وسلم وتسلية له عما كان من تكذيب المشركين إياه واستهزائهم به فجعل لها سوة في ذلك بالأنبياء الذين كانوا
قبله ﴿فأحاق﴾ أي فنزل ﴿وقيل﴾ حاط ﴿وقيل﴾ حل ﴿بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤون﴾ والمعنى فنزل العذاب بهم وردوا
عليهم من النقمة والعذاب جزاء استهزائهم به وفي هذه الآية تحذير للمشركين الذين فعلوا بنبيهم كما فعل من كان قبلهم
بأنبيائهم فيصيبهم مثل ما نزل بهم ﴿قل سيروا في الأرض﴾ أي قل يا محمد لهؤلاء المستهزئين سيروا في الأرض مسترشدين
ومتفكرين ﴿وقيل﴾ سيروا بالأقدام ﴿ثم انظروا﴾ فعلى القول الأول يكون النظر بقلوبكم وعقولكم وهو بالبصيرة لا بالبصر
وعلى القول الثاني يكون المراد بالنظر بالعين والمعنى ثم انظروا بأعينكم ﴿يا أيها﴾ الأمم الخالية ﴿والقرون﴾ السالفة وهو قوله
تعالى ﴿فإذا كان عاقبة المكذبين﴾ يعني كيف كان جزاء المكذبين وكيف دمرتهم الكفرة والتكذيب بالهلاك فحذر كفار
مكة عذاب الأمم الخالية ﴿قوله عز وجل﴾ ﴿قل لمن ما في السموات والأرض قل لله﴾ قرر سؤال وجواب والمعنى قل يا محمد لهؤلاء المشركين
المعاندين ﴿لمن ملك ما في السموات والأرض فإن أجابوك وإلا فأجبهم أنت ذلك لله الذي له تدبير كل شيء وملكه لا شيء ولا أحد
كل شيء لا إله إلا هو ﴿لمن﴾ ما في ﴿نقدم ونهاتم فإنها ما دامت لا تملك شيئا ولا تملك لأنفسها ضرا ولا نفعا وإنما هو بالجبار عز جلاله ﴿ليجمعنكم﴾ لتكونن
﴿ليجمعنكم﴾ لتكونن ﴿إلى يوم القيامة﴾ يعني كسب كان جزاء المكذبين وكيف دمرتهم الكفرة والتكذيب بالهلاك فحذر كفار
﴿كتب﴾ أوجب ﴿على نفسه الرحمة﴾ يعني أنه تعالى كان قديرا بالجحود بالله وتفرده وبما يحل بالجاحدين فتفضل برحمته وإحسانه
إليهم فقال تعالى ﴿كتب على نفسه الرحمة﴾ يعني أنه تعالى أوجب وقضى على نفسه الرحمة وعدا لا يستطاع دفعه للذين يؤمنون
عنده إلا لا ينال عليه وأخبر أنه رحيم بعباده وأنه لا يعجل بل يمهل لمن تاب ﴿قوله عز وجل﴾ ﴿الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون﴾
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قضى الله الخلق وسلم لما خلق الله الخلق كتب في كتاب ثم وضعه فوق العرش
إن رحمتي تغلب غضبي وفي رواية البخاري إن رحمتي سبقت غضبي ﴿وفي رواية﴾ لما فرغ من خلقه كتب كتابا فهو عنده فوق العرش إن رحمتي تغلب غضبي فهو مكتوب
عنده فوق العرش ﴿وفي رواية﴾ له أن الله لما خلق الخلق وعند سلم لما قضى الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش
﴿قوله عز وجل﴾ ﴿وله ما سكن في الليل والنهار﴾ أي ما استقر في الليل والنهار ﴿يعني﴾ ما في الليل والنهار ﴿وهو السميع العليم﴾ أي
﴿قل أغير الله أتخذ وليا﴾ أي أعبد غير الله ربا ﴿فاطر السموات والأرض﴾ أي خالقهما ومبتدعهما ﴿وهو يطعم ولا يطعم﴾ أي
يرزق ولا يرزق ﴿قل إني أمرت أن أكون أول من أسلم﴾ أي أخلص لله التوحيد ﴿ولا تكونن من المشركين﴾ أي قيل لي لا تكونن
﴿قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم﴾ يعني يوم القيامة ﴿من يصرف عنه يومئذ﴾ أي من يصرف عنه العذاب يومئذ
﴿فقد رحمه﴾ أي فقد أدخله الجنة ﴿وذلك الفوز المبين﴾ أي النجاة الظاهرة ﴿وإن يمسسك الله بضر﴾ أي بشدة ﴿فلا كاشف له إلا هو﴾
أي لا يقدر على كشفه إلا هو ﴿وإن يمسسك بخير﴾ أي برخاء ﴿فهو على كل شيء قدير﴾ أي فهو قادر على إيصال الخير إليك
﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ أي القادر عليهم ﴿وهو الحكيم الخبير﴾ أي في أمره وصنعه ﴿قل أي شيء أكبر شهادة﴾ أي أعظم شهادة
﴿قل الله شهيد بيني وبينكم﴾ أي هو يشهد لي بالنبوة ويشهد عليكم بالتكذيب ﴿وأوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ﴾
أي ولأنذر من بلغه القرآن من الأسود والأحمر ﴿أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى قل لا أشهد﴾ أي لا أقر ﴿قل إنما هو إله واحد﴾
أي لا شريك له ﴿وإنني بريء مما تشركون﴾ أي من الأصنام ﴿الذين آتيناهم الكتاب﴾ يعني اليهود والنصارى ﴿يعرفونه كما يعرفون أبناءهم﴾
أي يعرفون محمدا صلى الله عليه وسلم بالنعت والصفة كما يعرفون أبناءهم لا يشكون فيه ﴿الذين خسروا أنفسهم﴾ يعني بالشرك ﴿فهم لا يؤمنون﴾
أي لا يصدقون بالله ورسوله ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا﴾ أي لا أحد أظلم ممن كذب على الله ﴿أو كذب بآياته﴾ أي بالقرآن
﴿إنه لا يفلح الظالمون﴾ أي لا يسعدون ﴿ويوم نحشرهم جميعا﴾ أي نجمعهم للحساب ﴿ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم﴾ أي
﴿الذين كنتم تزعمون﴾ أنهم شركاء الله ﴿ثم لم تكن فتنتهم﴾ أي معذرتهم ﴿إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين﴾ أي تبرأوا من الشرك
﴿انظر كيف كذبوا على أنفسهم﴾ أي بالكفر ﴿وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾ أي ذهب عنهم ما كانوا يكذبون من أن الأصنام تشفع لهم
﴿ومنهم من يستمع إليك﴾ أي يستمع قراءتك ﴿وجعلنا على قلوبهم أكنة﴾ أي أغطية ﴿أن يفقهوه﴾ أي لئلا يفقهوه ﴿وفي آذانهم وقرا﴾
أي ثقلا حتى لا يسمعوا ﴿وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها﴾ أي لا يصدقوا بها ﴿حتى إذا جاءوك يجادلونك﴾ أي في القرآن
﴿يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين﴾ أي ما هذا إلا أحاديث الأولين ﴿وهم ينهون عنه وينأون عنه﴾ أي ينهون الناس عن
اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وينأون عنه أي يتباعدون عنه ﴿وإن يهلكون إلا أنفسهم وما يشعرون﴾ أي ما يعلمون أن وبال ذلك
عليهم ﴿ولو ترى إذ وقفوا على النار﴾ أي عرفوا عليها ﴿فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين﴾ أي ولا نكذب
﴿بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل﴾ أي ظهر لهم ما كانوا يكتمون من نفاقهم ﴿ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه﴾ أي لو ردوا إلى الدنيا
﴿وإنهم لكاذبون﴾ أي في قولهم ﴿وقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين﴾ أي بمحشورين ﴿ولو ترى إذ وقفوا على ربهم﴾
أي عرفوا عليه ﴿قال أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون﴾ أي بكفركم ﴿قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله﴾
أي بالبعث ﴿حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها﴾ أي على ما ضيعنا في الدنيا ﴿وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم﴾
أي آثامهم ﴿ألا ساء ما يزرون﴾ أي بئس ما يحملون ﴿وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو﴾ أي باطل ولعب ﴿وللدار الآخرة خير للذين يتقون﴾
أي يخافون الشرك ﴿أفلا تعقلون﴾ أي أفلا تعقلون أن الدنيا فانية والآخرة باقية ﴿قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون﴾ أي يسوءك
﴿فإنهم لا يكذبونك﴾ أي لا يجدونك كاذبا ﴿ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون﴾ أي بالقرآن ﴿ولقد كذبت رسل من قبلك﴾ أي
﴿فصبروا على ما كذبوا وأوذوا﴾ أي بالتكذيب والأذى ﴿حتى أتاهم نصرنا﴾ أي على أعدائهم ﴿ولا مبدل لكلمات الله﴾ أي لا خلف
لوعده ﴿ولقد جاءك من نبأ المرسلين﴾ أي من خبرهم ﴿وإن كان كبر عليك إعراضهم﴾ أي عظم عليك ﴿فإن استطعت أن تبتغي نفقا في الأرض﴾
أي سربا ﴿أو سلما في السماء﴾ أي مصعدا ﴿فتأتيهم بآية﴾ أي فافعل ﴿ولو شاء الله لجمعهم على الهدى﴾ أي لو شاء لهداهم
﴿فلا تكونن من الجاهلين﴾ أي الذين لا يعلمون أن الله قادر على ما يشاء ﴿إنما يستجيب الذين يسمعون﴾ أي يستجيب لك يا محمد
﴿والموتى يبعثهم الله﴾ أي يحييهم الله ﴿ثم إليه يرجعون﴾ أي يردون ﴿وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه﴾ أي هلا نزل عليه
﴿قل إن الله قادر على أن ينزل آية﴾ أي على أن يفعل ما اقترحوا ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ أي أن الله قادر على ما يشاء
﴿وما من دابة في الأرض﴾ أي ما يدب على وجه الأرض ﴿ولا طائر يطير بجناحيه﴾ أي ما يطير بجناحيه ﴿إلا أمم أمثالكم﴾ أي
﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾ أي ما تركنا في اللوح المحفوظ من شيء ﴿ثم إلى ربهم يحشرون﴾ أي يجمعون ﴿والذين كذبوا بآياتنا﴾
أي بالقرآن ﴿صم وبكم﴾ أي لا يسمعون الحق ولا يقولونه ﴿في الظلمات﴾ أي في الكفر ﴿من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم﴾
أي على دين الإسلام ﴿قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله﴾ أي في الدنيا ﴿أو أتتكم الساعة﴾ أي القيامة ﴿أغير الله تدعون﴾ أي تعبدون
﴿إن كنتم صادقين﴾ أي أن آلهتكم تنفعكم ﴿بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء﴾ أي إن شاء أن يكشفه كشفه
﴿وتنسون ما تشركون﴾ أي تتركون ما تعبدون من الأصنام ﴿ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك﴾ أي
﴿فأخذناهم بالبأساء والضراء﴾ أي بالفقر والمرض ﴿لعلهم يتضرعون﴾ أي يتذللون ﴿فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا﴾ أي هلا تضرعوا
﴿ولكن قست قلوبهم﴾ أي غلظت ﴿وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون﴾ أي من المعاصي ﴿فلما نسوا ما ذكروا به﴾ أي تركوا ما وعظوا به
﴿فتحنا عليهم أبواب كل شيء﴾ أي من الخير ﴿حتى إذا فرحوا بما أوتوا﴾ أي أعطوا ﴿أخذناهم بغتة﴾ أي فجأة ﴿فإذا هم مبلسون﴾
أي آيسون من الخير ﴿فقطع دابر القوم الذين ظلموا﴾ أي آخرهم ﴿والحمد لله رب العالمين﴾ أي على إهلاكهم

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)